المحاضرة الأولى: الآداب العالمية المفهوم والمصطلح

مدخل:

يستخدم مصطلح الأدب العالمي (عموما) للدلالة على الأدب الذي ارتقى إلى مستوى العالمية، واجتاز الحدود بين الدول، وترجم إلى كثير من لغات العالم، وحقق انتشارا واسعا، وشهرة كبيرة، بفضل ما يمتلك من خصائص فنية، تتمثل في تصويره لبيئته، وتعبيره عن قضايا الإنسان مثل: أدب وليام شكسبير، أو تولستوي، أو أرنست همنغواي، أو غابرييل غارسيا ماركيز، وغوغول، ولوركا، وكاتب ياسين، ونجيب محفوظ ...

ويمكن الإشارة هنا إلى محدودية هذا التعريف، لعدم كفاية الأسس الموضحة لتصنيف أي عمل على أنه أدب عالمي، ذلك أن القيمة الفنية له ومدى تأثيره وتنمية البشرية بشكل عام وتأثيره على الأدب القومي بشكل خاص تعتبر أيضا عوامل هامة لمثل هذا التصنيف. ثم إن الاتفاق على معايير مقبولة عالميا لتقرير ما هي الأعمال ذات التصنيف الأدبي العالمي ليس بالأمر السهل.

ويعتبر الكاتب الألماني غوته أول من بشّر بظهور أدب عالمي تشترك فيه كل الأمم، وتساهم فيه شعوب الأرض قاطبة، فيعبر عن قيمها ومبادئها وآمالها وآلامها، حيث يقول:"أدرك أكثر فأكثر أن الشعر ملك مشترك للإنسانية[...] إن الأدب الوطني ليس له شأن مهم، فوقتنا هذا هو وقت الأدب العالمي، وعلى كل واحد أن يساهم في هذا التطور، إنه من الحلو- بحيث التعامل والعلاقات بين الفرنسيين والإنجليز تتحسن أكثر فأكثر- أن يصحح بعضنا البعض".

فيلاحظ أن العالمية عند غوته وسيلة ناجعة لتحقيق التواصل الإقليمي بين الدول الأوروبية المتجاورة، بل إنها أداة جيدة لتصحيح المفاهيم السلبية والأحكام المسبقة (تجاه بعضنا البعض)، كما وضح غوته أن العامل الحاسم لعالمية الأدب القومي، هو امتداده الزمني والمكاني خارج حدوده المحلية وتقاطعه الثقافي مع غيره من الآداب.

وقد لقيت عالمية غوته هذه رواجا كبيرا، بل إنها اقترنت باسمه واقترن اسمه بها، حيث استحسنها البعض وعارضها آخرون، كما تحفظ عليها البعض، ففكرة توحيد الآداب العالمية تبقى مثالية كما إنها مضادة للنزعة الفردية القومية.

كما إن النموذج الموحد الذي سعى غوته إلى توحيد آداب العالم تحت لوائه هو النموذج الأوربي، وهذا ما يعزز المركزية الأوربية.

ثم إنه يجب الإشارة إلى أن مصطلحWeltliteratur الذي وضعه غوته كان من أكثر المصطلحات إثارة للجدل، حيث ترجم في الإنجليزية إلى (LiteratureofTheWorld) أي (أدب العالم)، وفي اللغة العربية إلى (عالمية الأدب) حينا وإلى (الأدب العالمي) حينا آخر، وقد أخذ مصطلحWeltliteratur معنيين هما:

1- الأدب العالمي: هو روائع الأدب الخالدة MasterPièces التي تحدث الزمن بروعتها الأدبية، ومضامينها الإنسانية العميقة مثل: ألف ليلة وليلة، ملحمة جلجامش، الإلياذة، أوديب ملكا...

2- عالمية الأدب: هي توحيد آداب العالم في قالب أدبي موحد يتضمن جماليات شكلية وأسلوبية محددة، ويتضمن أفكارا ثابتة أو متفق عليها بحسب غوته.

ومثلما سبق الذكر فإنّ تصنيف الأدب في هرم العالمية ليس بالأمر السهل، وفي هذا الصدد يجب الإشارة إلى جهود المقارنين وعلى رأسهم (حسام الخطيب) الذين وضعوا جملة من المعايير التي يحتكمون إليها لترسيخ أدب ما للعالمية، وقد قسّموا تلك المعايير إلى معايير أدبية ومعايير غير أدبية.

أمّا الأولى فهي: الجودة الفنية، والترجمة، والمقروئية، أو التلقي النقدي.

وأما الثانية فهي: قوة الدولة وهيمنتها، وتفوقها الحضاري الذي يجعلها تسعى لأن تفرض أدبها على مستوى عالمي.